

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

قال أبو عبيد : ومن أمثالهم في هذا قولهم (لا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مَمْسِكًا ساقا) أي أنه لا يدع حاجة إلا سأل أخرى وأصل هذا في الحرباء يشتد عليه حمى الشمس فيلجأ إلى شجرة يستظل بساقها فإذا زالت عنه تحوّل إلى أخرى .
ع : هذا المثل عجز بيت لكعب بن زهير قال : .
(أَزَّيْ أُوْتِيحَ لَهُ حَرُّ بَاءُ تَنْضِبَةً ... لا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مَمْسِكًا ساقا) .

والحرباء دويبة كالعطاءة وهو ذكر أم حبين في صدره استرخاء وقرب من الأرض وإذا حميت الأرض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه الأرض للزوقه بها فصعد على عود شجرة فالتزمها بيديه وجعلها بينه وبين الشمس ودار كلما دارت الشمس قال ذو الرمة : .
(يُصَلِّي بِهَا الْحَرُّ بَاءُ لِلشَّمْسِ مَآثِلًا ... على الجَذَلِ إِلَّا أَزَّهَهُ لَا يُكَبِّرُ) .
(إِذَا حَوَّلَ الظِّلُّ الْعَشِيَّ رَأَيْتَهُ ... حَذِيفًا وفي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ) .

قال أبو عبيد : ومن أمثالهم (اسْقِ أَخَاكَ الذَّمَّ مَرِيًّا) وهذا المثل لكعب ابن مامة وذلك أنه سافر سفراء في حمارة القيط فأعوزهم الماء إلا يسيراً يقتسمونه بالحصاة وذكر الخبر إلى آخره